باب التربية والتعليم

﴿أميل القرن التاسع عشر ـ تابع لمكتوب ١٩﴾

من الخطأ ان يعتقد معتقد ان الحكومات المطلقة تكره تقدّم سير التعليم العام وتعاديه عن قصد . فما الذى تخشاه منه وليس هو الا جملة أنواع من العرفان هي تحرّرها وتصوّرها كيفما شاءت ؟ أليس بيدها مقاليد هذه الجملة ؟ أليست طرق التعليم التي تقرّ عليها وهى المتبعة دون غيرها هي أحسن ماوجدته لتمكين أصل الرضوخ للقوّة الحاكمة في نفوس المتعلمين ؟ ان أخوف ماأخافه على الامة من المخازي المهينة التى تشين شرفها هي العبودية في الاختيار . فان الاصفاد التي تقيّد الرقيق قد تسقط بمقاومة قليلة (وروى لنا التاريخ في ذلك أكثر من مثل) وأما مايتزيا به حواشي الامراء وخدمهم من الملابس الرسميه فما أطول بقاءه على أبدانهم !! اذا تعلمت الامة بالتربية الفاسدة الطاعة والانقياد وكان الباعث لها عليهما المنفعة أو الاثرة أو الوجدان كان ذلك كل مايطلبه منها مربيها . ان مذهب القائلين بوجوب توسط الحكومة في التعليم مؤسس كله على أمور الاعتقاد التقليدى وعلى ان السلف كانوا يأتمرون بأوامر مدير المدرسة أو رئيس القرية كما نقل الينا ذلك في آثارهم فلا يطالب أصحاب هذا المذهب من يعلمونهم بالاستقلال في الفكر والعمل وانما يحملونهم على العمل بما يقال لهم فتكون قلوب الاطفال بأيدي معلميهم مادة لينة يتخذون منها للحكومة رعية نافعة مطيعة واذا كانت هذه هى غايتهم التي يرمون اليها فهم لايبالون بما عداها بل ان أحب شيء اليهم أن تصير المدرسة بهذه الطريقة مربى يتخرج منه أوساط الناس فان الامة تصير بذلك أسلس للوازع قيادا وأخفض جناحا . لايشك أحد في ان معاهد التعليم عندنا يرأسها كثير من الرجال العارفين الاحرار وللمدرسة العامة فوق ذلك مزية نادرة الوجود في رأي اهل النظر وهى انه لما كانت الثورة الفرنساوية هي الاصل فى وجود القسم الاكبر منها كان من المتعسر ان تتحوّل عن مبادئها وأصولها مهما تغيرت عليها الاحوال وتبدلت الشؤون فاي معقل رفيع غيرها يحمي الافكار والآراء الحديثة من اغارات مذاهب الكهنوت

عليها؛ كل يوم تتخرج من مدارسنا الاختيارية وكلياتنا عقول سامية بل عقول حرة ايضا ٠ان في استطاعة الحكومات ان تسن ماشاءت من قوانين التعليم وليس في وسعها ان تبطل تأثير علم الحكمة والافكار التي ولدتها ثورة سنة ١٧٨٩ وغيرها من المؤثرات التي تعمل فى نفوس الاحداث رغما عن كل قانون ونظام ٠ من اجل هذا انا لااعيب المدارس لذاتها وانما اعيب فيها مجموع طرق التعليم من حيث هو مؤسس على اوهامنا واخلاقنا وعوائدنا ٠

التربية الخاصة عندنا هي ايضا اقل قيمة من التربية العامة فان الوليد عندما يسلك سبيل الحياة لايتوجه قصدنا الا الي الزامه الجرى على مألوف العادة وما يلقي في ذهنه من المعارف كله تجريبي فمن ذا الذى فكر الى الآن في جعله مساوقا لفطرة الانسان ومناسبا لها؛ اننا منذ نصف قرن قد جددنا طرق تناول العلوم الرياضية والطبيعية وفنون الاقتصاد السياسى والتاريخ والحكمة والادب والانتقاد وكل شيء الا مايختص بتربية الاطفال على انها هي التي كان يجب البداءة بها في التغيير ٠

أود قبل كل شيء ان يحترم وجود الانسان حتي في ذات الطفل

اني لو أتاح لى الحظ سماع خطب علماء الاخلاق ورجال الحكومة في مذهب الاشتراكيين لما خامرني شك في ان هذا المذهب فاسد ممقوت مغاير للدين بما لهم على ذلك من الحجج القوية والبراهين الصحيحة وانا منحاز معهم الى فريق ذوى الاستقامة والصلاح ٠ فاسمعي مايقولونه في شأن التربية والتعليم عندنا ؛ يقول قائلهم اني اذا دخلت مدارسنا الابتدائية الثانوية لايسعني الا ان أعترف على الفور بان مافيها من الابنية وأنواع التأديب وتوحيد طرق التعليم واختلاط الدروس كل ذلك لم يوضع الا لحبس الجسم والعقل والتضييق عليهما فالمصريون علي ماروى عنهم قد اخترعوا أفرانا لطبخ الدجاج ونحن قد اكتشفنا أفران طبخ التلامذة ٠ان القوتين اللتين يعتنى بانضاجهما هؤلاء أشد العناية على هذه الحرارة الصناعية وهما قوتا التقليد والذاكرة هما ولاشك أضر القوى الانسانية كشفا عن حقيقة العقل واظهار الملكات الصحيحة فكأن القيمين بهم بالتربية والتعليم قصدوا أولا وبالذات ان يجعلوا كل رجل من اول نشأته شبيها بجميع الناس ولست أعدم قائلا يقول ان ذلك هو احدى النتائج الضرورية لتطلعنا

الى الحكومة الجمهورية وتحققنا باصوله فاجبه ان هذا القول من الخبط والخلط الغريب فكيف يشبه توحد المعارف والملكات بالمساواة في الحقوق . الا يري ان سكان الولايات المتحدة على ايغالهم اكثر منا في الاخذ بسنة النظام الجمهوري هم على العكس منا يزداد فيهم شعور الاستقلال بالوجود الشخصي الذى هو أصل الحرية حياة وقوة فتظهر آثاره في أعمالهم ظهورا جليا .

ان الشاب ليمكنه ان يتعلم من جديد مستقلا بنفسه ان أراد مالم يكن أحسن تعلمه أثناء دراسته وهذا ماوقع لجميعنا بعد الخروج من المدرسة ولكن من ذا الذى يفكمن اغلال العوائد التي تخلق بها في صغره ؟ كيف يتيسر لهذا المتفلت من المدرسة ان يهتدي في مستقبله بمجرد ما اكتسبه من المعارف مع انه الى وقت خروجه منها كان لايستقل بعمل من أعماله بل كان يعملها جميعها باعين معلميه ؟ ما الحيلة في احياء قوة نفسه بعد ان أنهكها التأديب المؤدي الى درجة البهيمية ؟ مامعني الكلام على الزاجر النفسي انا كان وجدان اليافع يسلب منه ويوضع بايدى من يديرون شؤونه ؛ ذلك هو أخص ماأخشاه من أنواع الخطر ومن العبث ان يتمثل هنا ببعض مشاهير الرجال الذين كانوا في زمن طفوليتهم في أشد المراقبة والحصر ولكن لم يؤثر هذا في مستقبلهم شيأ فيقال ان فولتير (١) مثلا تربي في حجر اليسوعيين وتخرج التيتانيون (٢) الذين اشتهروا في ثورة سنة ١٧٨٩ على رجال الكهنوت فاني لاأتكلم هنا عن الافراد من الرجال الشذاذ وانما أقصد بكلامي جملة الامة وعامتها وأسائل نفسي عما يحدثه مثل هذا النظام من الاثر في طباع أوساطها . كوني على يقين انه ليس من الميسور لكل واحد ان يجد مايكفي من القوة لاسترجاع مافقده من سلطانه على نفسه بعد ان ألقي لغيره زمام عزيمته .

انك قد لاقيت في الناس من جرى الاصطلاح بتسميتهم الشبان العارفين فهل رأيت منهم كثيرا يمتازون بجرءة الجنان الحقيقية . الم ترهم يتلومون في الغالب من وسائل الترقي وطرق الاصلاح ماعساه ان يذهب ببعض آمالهم ويضطرون به ميلا مع الاثرة وحبا للاقتناص . الا تجدنهم أشد عداوة من جهلة العامة لبعض العلوم . انهم ليؤمنون

(١) هو اروويت وفولتير الشاعر الحكيم الفرنساوى المولود في سنة ١٦٩٤ المتوفي سنة ١٧٧٨

(٢) مردة الشياطين الذين حاولوا صعود السماء لخلع المشترى كبير الآلهة كما في خرافات اليونان

على السواء بكل ماقدسه مرور الزمن عليه و اراء الناس فيه غير مهتمين بالتمييز بين صحيحه وفاسده وحقه وباطله وما لهم ولهذا التمييز اذا كانت مهارتهم توصلهم الى مقاصدهم . هل هم في هذا العالم حتى يشتغلوا بمصالح غيرهم ؟ كلا انهم ليقنعون بنقصهم الذي يظهرونه للناس في مظهر الكمال ويهزأون بما كان من جد الخائبين واخلاص المخلصين وصدق نفوس الصادقين . وهم لما فيهم من خفة الاحلام وكثرة المجون والغرور والترف يلتمسون في كل أمر وسيلة الانتفاع بحاضرهم ومع قلة مالهم من المعارف الحقة يظهرون في مظهر العارفين بكل شيء . المجتمع الانساني هو حلبة سباق كبرى فهم فيها يعملون لمزاحمة غيرهم في الحصول على سبقها (١) أو على الالقاب التي تعطي في العادة لمن يقاربون هذا السبق . فتفضل الشخص الذاتي هو أيضا في هذا الميدان الجديد لايلتفت اليهم كثيرا لان الذي يمنح الجوائز هي المحاباة والذين ينالونها هم أهل الدسائس والخدع فلا جرم اذن ان كدح المتعلمون من الشبان بعد خروجهم من ربقة النظام المدرسي في دخولهم تحت ولاية الحكومة . ان سمعت كلامي وصدقت قولي فلا تربي ولدنا على الطرق المتبعة وربما كان عملنا في ذلك أحسن من عمل غيرنا او اسوأ منه الا اننا على كل حال نكون قد اتقنا حقا مقدسا فان تربية الطفل منوطة بالبيت والاهل والعشيرة قبل ان تناط بالمجتمع الانساني . ماهذه الكلمات التي قد جمح لها قلمي . قلت ان التربية منوطة بالبيت ولكن والأسفي على بيتنا فقد هدم نعم ان عشنا الذي كنا لابد ان تاجي فيه باحسن امانينا ونسكنه اعز آمالنا قد ثارت عليه عواصف المحن فدمرته تدميرا . لابأس علينا من ذلك فسنعيد بناءه بروابط الحب فوق جو الفتن فاكون معك في هذا العمل بقلبي وأنت تسهرين وتنوبين عني في السهر على حراسة ذخرنا فاني قد استودعتك اياه والسلام

الاخبار المحلية

ثبت شهر الصوم الشريف بالرؤية الشرعية واصبح اهل القطر في يوم الثلاثاء الماضي صائمين فنهني قراء جريدتنا الكرام وسائر المسلمين بهذا الموسم المبارك ونسأل الله تعالى ان يوفقهم لاكمال العدة بخير وعافية ورسم ضافية

(١) السبق محركة الخطر الذي يتراهن عليه اهل السباق وبالضم جمع سبقة بمعناه